

# شفاف، هش وأسر

يشهد فن الزجاج عصرًا ذهبيًا فيما يرتقي فنانونه بإمكانياته إلى آفاق جديدة

نص | هلا الخوري

ممهورة بأسماء عمالقة فن الزجاج مثل ستوين وتيفاني في أمريكا، أو غاليه في فرنسا، أو كوستا بودا في السويد، أو كريستال هويا في اليابان، وسعى أصحاب الذوق الرفيع لاقتناء أجملها وأكثرها تميّزاً.

مع انتشار القطع الزجاجية المتأنقة بأشكال ساحرة ولعمان أسر، اشتد الفنانون توفيقاً لخوض عالم الزجاج وتطويعه في مشاغلهم، فاستجاب لطلبهم هارفي ليتلتون، الذي يعتبر أب "حركة مشغل فن الزجاج" في أمريكا، من خلال إطلاق برامج لتعليم أسرار التعامل مع الزجاج في المحترفات الفنية. وتعود بنا تينا أولدنو، أمانة قسم الزجاج العصري في متحف كورنيلغ للزجاج في نيويورك إلى تلك الحقبة المميزة فتقول: "عندما أقدم الثنائي فتان الخزف هارفي ليتلتون وعالم الأبحاث في مجال الزجاج دومينيك لاينو على تعريف الفنانين الأمريكيين إلى الإمكانية التي يوفرها العمل بالزجاج الساخن عام ١٩٦٢، أدت تلك الخطوة إلى تحول جذري في مجال الزجاج على صعيد الفكر من جهة والتطبيق العملي من جهة أخرى، فكان لها أثر على النظرة السائدة للزجاج كمادة وسبل تسخيرها لخدمة الفن. وقد أحدث انتقال فن الزجاج من المصانع إلى محترفات الفنانين قفزة نوعية، تمثّلت في طفرة بالأفكار المبدعة والتقنيات المتقدمة وتزايد الاستخدام. واليوم يقدم الفنانون حول العالم على استخدام الزجاج بأساليب ديناميكية حديثة، سواء أكان ذلك في قطاع الهندسة المعمارية أو إبداع المجسمات في مجال الفن الجميل أو النحت، بالإضافة إلى دخول الزجاج عالم التصميم والحرف".

إن العمل بالزجاج السائل مسألة بالغة التعقيد، فيما تتبدل خواصه في كل لحظة مع تغير حرارته، وهذا أمر أدركه عمالقة فن الزجاج العالميين، في مقدّمهم الإيطالي لينو تاليابيترا الذي ولد عام ١٩٢٤ في جزيرة مورانو، الموطن الأم والمركز الأول لهذا الفن العريق، حيث تلقّن أسرار العمل بالزجاج، ولعب دوراً كبيراً في نشر المعرفة حول تقنياته، فألهمت أعماله العديد من الفنانين المعاصرين، بمن فيهم ديفيد باتشن، أما الفنان ديل تشيهولي، فيعتبر من كبار المروجين لفن الزجاج في عصرنا، وكان له الفضل في إطلاق مشاريع تعاون فني، أثمرت مجموعة مبتكرة من التحف الزجاجية المركبة في أحجام ضخمة لم يسبق لها مثيل، وبالتالي مهّدت أساليبه الطريق لدخول الزجاج الأعمال التركيبية الكبيرة.

يحدثنا الفنان البارع ديفيد باتشن عن عشقه للزجاج قائلاً: "يجذبني الزجاج لعدة أسباب، تطورت مع الوقت من خلال تعاملتي معه، لقد سحرني الزجاج قبل إقدامي على العمل في

## ومضات

في الذاكرة تروح وتجيء، وأفكار مبعثرة تتبلور وتتضح، وهاجس يسيطر على الفنان باعثاً فيه اندفاعاً لا يخدم إلى أن يجسّد رؤيته في لوحة أو منحوتة تحطف البصر وتحاكي الخيال. وقد يذهب في تفكيره بعيداً بحثاً عن مصدر وحي يستثير مخيلته ويحفّز إبداعه، ثم يعود أدراجه إلى الطبيعة محاولاً أن يستقي من جمالها. ولو أراد أن بأسر لعمان الضوء وشفافية الماء ويجسّد هشاشة الحياة، لوجد في الزجاج العنصر الأمثل كونه مادة غير كل المواد، تفيض نوراً ولوناً ولعماناً إن عرف كيف يطمعها.

استحوذ الزجاج على اهتمام الإنسان منذ ما لا يقل عن خمسة آلاف عام، وبعد أن عرفته حضارة مصر القديمة تحت اسم "الحجر المتدفق" واتجر به الفينيقيون حينما رست سفنهم، ونشر الرومان عملية نفضه لتشكيل أو أن تحلب الألباب، تالأت القطع الزجاجية في مختلف القارات منطبعة بترات حضارات العالم لتصبح صناعتها فناً راقياً تنافس الحرفيون على إتقانه والتعمّس بأسراره. فأنبرى مهنيو جزيرة مورانو الإيطالية لتطويره على مدى مئات السنين حتى اكتسبت مورانو لقب منشأ فن الزجاج الحديث.

بقي هذا الفن الدقيق حكرًا على المصانع لعدة قرون حيث كانت فرق من أربعة حرفيين أو أكثر تتكاتف لتنفيذ قطع أحدث انتقال فن الزجاج من المصانع إلى محترفات الفنانين قفزة نوعية. تمثّلت في طفرة بالأفكار المبدعة والتقنيات المتقدمة وتزايد الاستخدام

